

الدلالات الإيحائية في الخطاب القرآني وتجلياتها

(سيدنا موسى والخضر عليهما السلام)

Suggestive Connotations in the Qur'anic Discourse and its Manifestations
(Our Master Moses and AL-Khidr, Peace be upon Them)

أم كلثوم حويشي

مخبر الشعرية-كلية اللغة والأدب العربي والفنون

جامعة باتنة 1. الجزائر

البريد الإلكتروني: oumkeltoum.houichi@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2025/12/26

تاريخ القبول: 2025/05/24

تاريخ الإرسال: 2023/11/13

الملخص إن القصص القرآني آية من آيات الله، ومدرسة للتربية والإرشاد، ومشكاة نورانية للهداية والاستبصار. وقصة سيدنا موسى -عليه السلام- من أكثر القصص ذكرا في القرآن الكريم لما تشتمل عليه من دلالات ومعان يستقي منها الإنسان السوي آداب الحوار والمعاملة والتعلم والتواضع. فقد كان سيدنا موسى عليه السلام رمزا لذاك المتعلم رغم ما أوتي من آيات ومعجزات إلا أنها لم تمنعه من السعي الجاد لطلب العلم والاستزادة. فنال أسمى مراتب العلم والهداية. والمتأمل لقصة سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام- يدرك لا محال كثيرا من الحقائق إن على مستوى الألفاظ أو المعاني. ويسعى هذا المقال لبيان الدلالات الإيحائية التي تضمنتها قصة سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام- وكيف تشكلت تلك الدلالات. فما دار بينهما من حوار يكشف لنا عن دقائق لغوية وبيانية كثيرة. تقتضي النظر بحذق والتدقيق بوعي تام بقدسية القرآن الكريم لفظا ومعنا. وهذا ما يستدعي مزيدا من الدراسة والتحليل طمعا في الكشف عن وجوه الإعجاز اللغوي والبلاغي في الخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحية: دلالة، علم، تكرار، إيجاز، تأكيد.

Abstract :

Qur'anic stories are one of the signs of God, a school for education and guidance, and a shrine of light for guidance and insight. The story of our Master Moses-peace be upon him- is one of the most mentioned stories in the Holy Qur'an because of the connotations and meanings it contains from which a normal person can derive the etiquette of dialogue, interaction, learning and modesty. Our Master Moses- peace be upon him-was a symbol of that learner, despite the signs and miracles he was given. However, the did not prevent him from striving seriously to seek knowledge and increase. He attained the highest levels of knowledge and guidance. Anyone who contemplates the story of our Master Moses and Al-Khidr-peace be upon them- inevitably realizes many facts, whether at the level of words or meanings. This article seeks to explain the suggestive connotations included in the story of our master Moses and AL-Khidr- peace be upon them- and how those connotations were formed. The dialogue that took place between them reveals to us many linguistic and expressive details. It requires careful consideration and scrutiny with full awareness of the sanctity of the Holy Qur'an verbally and in meaning. This calls for further study and analysis in the hope of revealing the aspects of the linguistic and rhetorical miracle in the Qur'anic discourse.

Keywords: connotation, knowledge, repetition, brevity, emphasis.

مقدمة:

إن الخطاب القرآني أسمى وأرقى خطاب على الإطلاق، فما تملكه اللفظة القرآنية من طاقات دلالية وإشعاع بياني يكشف لنا عن سر الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، كيف لا وهي تمثل أعلى مستويات القوة والفصاحة والبيان والإحكام. فالتنوع والتناغم في المزج بين الحقيقة والمجاز في استخدام الألفاظ، والانسجام المتميز والتناسق بين العبارات والتراكيب القرآنية يكشف عن تلك الدلالات والإيحاءات والتأويلات التي تحملها الألفاظ والصيغ والتراكيب القرآنية.

إن سورة الكهف من السور المكية التي نزلت جملة واحدة، وتناولت ثلاث قصص تتشابه في الغرض. أولها قصة أصحاب الكهف، وتليها قصة سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام-، ثم قصة ذي القرنين. وذكر ابن عاشور في تفسيره تشابه قصة سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام- وقصة ذي القرنين في الهدف المنشود، فقال: "وقدم لقصة ذي القرنين بقصة أهم منها. وهي قصة موسى والخضر -عليهما السلام-، لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف، فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض، وموسى -عليه السلام- خرج في طلب العلم" (بن عاشور، 1984، صفحة 360)

إن خطاب سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام- خطاب تداولي أسس في بيئة تعج بكفاءات لغوية، وحوارية، وفكرية، وقدرات إقناعية حجاجية ارتقت بذاك الخطاب أسمى الرتب والمنازل، وسجلت نموذجاً بديعاً في التعامل الإنساني. وقد كان سيدنا موسى -عليه السلام- مثلاً لنموذج المتعلم المتواضع الذي لا ينضب مورده، فهو في سعي دائم وحديث لتلقي كل ما لا يعرفه. وهذا هو سر نجاح التعليم الذي يقوم على أسس علمية واضحة المعالم. وذلك عن طريق تحديد الأهداف، وتسخير جميع الوسائل والآليات التي تضمن نجاح العملية التعليمية، وترسيخ القيم التربوية والأخلاقية والإنسانية، وتحسين الأداء عن طريق الإشراف الفعال من معلم جيد فن التعامل ويتقن أبجديات التعليم. ويملك لغة أقل ما يقال عنها أنها لغة معيارية إيحائية. والحوار الذي نسج بين سيدنا موسى والخضر -عليهما تقودنا لطرح السؤال التالي: ماهي الدلالات الإيحائية التي تضمنتها لغة الحوار الذي جمع سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام-؟ وكيف تشكلت تلك الدلالات؟ وما هي الآليات اللغوية والبلاغية التي ساهمت في بناء تلك الدلالات الإيحائية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وجب اتباع المنهج الوصفي لأنه الأمثل والأنسب لكذا إشكالية، كما وجبت الاستعانة بآليات التحليل والتفسير قصد تحقيق الهدف من هذا البحث ألا وهو الكشف عن الدلالات الإيحائية التي تضمنها خطاب سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام-

1- إحياءات لغوية:

1-1 الدقة في المعنى: إن المتأمل لما دار بين سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام- يدرك لا محال تلك الدقة المتناهية في انتقاء الألفاظ وتخير المعاني، ومن ذلك:

-الخرق: "الخرق مزق الشيء، وخرق الثوب، وخرقه وسع شقه. ومن المجاز خرقت المفازة: قطعتها حتى بلغت أقصاها" (ابن فارس، 1979، صفحة 172). (الزمخشري، 1998، صفحة 241). وجاء في المفردات: "الخرق قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكر. وهو ضد الخلق: الذي هو فعل الشيء بتقدير ورفق. والخرق بغير تقدير" (الأصفهاني، 1412هـ، صفحة 280). فبعد أن ركب سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام- في السفينة أحدث الخضر خرقاً فيها لحكمة علمه الله إياها. ولكن موسى -عليه السلام- لم يعلم ذلك، وهذا ما جعله يستغرب ذاك الحدث ويستبعد أن يكون مقصد خير من وراء ذاك الفعل.

-الإمر: "الإمر هو الأمر العظيم الشنيع وقيل العجيب" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 29). وقد فرق أبو هلال العسكري بين الإمر والعجب فقال: "أن الإمر العجب الظاهر المكشوف والشاهد أن أصل الكلمة الظهور. ومنه قيل للعلامة الأمانة لظهورها والأمانة ظاهر الحال" (العسكري، 1414هـ، صفحة 72). ولقد أنكر سيدنا موسى -عليه السلام- فعل الخضر إذ خرق السفينة، فقال له: (قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغَرِّقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا). والإمر "هو العظيم المفضع، لأن المقام دال على شيء ضار، ومقام الأنبياء في تغيير المنكر مقام شدة وصراحة. ولم يجعله "نكرا" كما في الآية بعدها، لأن العمل الذي عمله الخضر -عليه السلام- ذريعة للغرق ولم يقع الغرق بالفعل" (ابن عاشور، 1984، صفحة 375) فالإمر هو الأمر الشنيع ذو العجب الظاهر.

-النكر: جاء في مقاييس اللغة: "النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب. ونكر الشيء وأنكره لم يقبله قلبه ولم يعترف به" (ابن فارس، 1979، صفحة 476). وفرق ابن عاشور في تفسيره بين النكر والإمر بقوله: "والنكر ما تنكره العقول وتستقبحه وهو أشد من الإمر. ولأن هذا فساد حاصل والآخر -الإمر- ذريعة فساد" (ابن عاشور، 1984، صفحة 378). وأكد الرازي في تفسيره شناعة وقبح النكر بقوله: "النكر أعظم من الإمر في القبح. وهذا إشارة إلى أن قتل الغلام أقبح من خرق السفينة. لأن ما كان إتلافا للنفس. ولأنه كان بالإمكان ألا يحصل الغرق. أما هاهنا -قتل الغلام- فقد حصل الإتلاف قطعاً، فكان أنكر. والنكر أعظم من العجب... وقيل النكر ما أنكرته العقول، ونفرت عنه النفوس، فهو أبلغ في تقبيح الشيء من الإمر" (الرازي، 1420هـ، صفحة 487). وذكر الفيروز آبادي فرقاً جوهرياً فصل به القول في الفرق بين الإمر والنكر حين قال: "الإمر العجب والعجب يستعمل في الخير والشر بخلاف النكر. لأن النكر ما ينكره العقل، فهو شر وخرق السفينة لم يكن معه غرق، فكان أسهل من قتل الغلام وإهلاكه" (الفيروز آبادي، 1996، صفحة 301). وذكر في موضع آخر تفصيلاً لحقيقة النكر حين رد أصل النكر إلى الجهل فقال: "النكر... أصل الإنكار أن يرد على القلب ما لا يتصوره. وذلك ضرب من الجهل وقد يستعمل ذلك فيما ينكره باللسان وسبب الإنكار باللسان الإنكار بالقلب... والمنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه." (الفيروز آبادي، 1996، صفحة 120). فالإمر هو العجب والفعل الشنيع وهو أقل قبحا وفضاعة من النكر، فكان خرق السفينة وإلحاق الأذى بها إمرًا. وأما ما حكمت العقول والقلوب بقبحه وشناعته فهو أمر نكر.

- "تستطيع، تستطع، تسطع"

إن ما تحمله كلمة "تستطيع" من دلالات استطاعت الكشف عن خبايا نفسية سيدنا موسى -عليه السلام- وورودها بصيغ مختلفة يحمل دلالات عدة كذلك، فقد ذكرت خمس مرات. كان الخضر -عليه السلام- في كل مرة يؤكد عدم استطاعة موسى -عليه السلام- الصبر. "والاستطاعة استقالة من الطوع، وذلك وجود ما يصير به الفعل متأثياً. وهي اسم للمعاني التي يتمكن الإنسان مما يريده من إحداث الفعل... واستطاع واستطاع بمعنى" (الأصفهاني، 1412هـ، صفحة 530). وذكر الجرجاني في كتابه التعريفات تحقق الاستطاعة، فقال: "والاستطاعة القدرة والقوة والوسع والاستطاعة الحقيقية هي القدرة التامة التي يجب عندها صدور الفعل، فهي لا تكون إلا مقارنة للفعل" (الجرجاني، 2007، صفحة 19). وبين ابن عاشور في تفسيره أن كل من "تستطيع وتستطع وتسطيع" بمعنى واحد حين قال: "تسطع مضارع استطاع بمعنى استطاع حذف تاء الاستفعال تخفيفاً لقربها من مخرج الطاء. وفي قوله تعالى " مالم تستطع عليه صبرا" تأكيداً للتعريض باللوم على عدم الصبر" (ابن عاشور، 1984، صفحة 15). وقد سبق وأن اشترط الخضر -عليه السلام- لقبول مصاحبة موسى -عليه السلام- له عدم سؤاله فقبل موسى -عليه السلام- شرطه رعاية لأدب المتعلم والعالم. فكان ذاك التنوع في صيغة المعنى الواحد تنوعاً فيما تحمله تلك الكلمات من دلالات، وتأكيد لقلة حيلة سيدنا موسى -عليه السلام- وعدم صبره لما يلقاها ويواجهه.

1-2- الإيحاء اللغوي في أسلوب التوكيد:

إن أسلوب التوكيد من فنون التعبير، وأقوى الأساليب التي يستخدمها الإنسان لدعم رأيه، وتقوية حجته، وإثبات وجهة نظره لما فيه من تقوية وإقرار. وهذا ما يذكره ابن جني في سياق حديثه عن عادة العرب في الكلام، فقال: "اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له فمن ذلك التوكيد" (ابن جني، د.ت، صفحة 103). والخطاب القرآني يوظف أسلوب التوكيد في أكثر من موضع، وبأوجه مختلفة، وفي خطاب موسى والخضر -عليهما السلام- صور متعددة للتوكيد تراوحت بين توكيد لفظي ومعنوي، ووظفت لأغراض مختلفة وهذه عينة منها:

- "لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا" جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "الباء والراء والحاء: الزوال والبروز والانكشاف، وما برحت أفعل ذاك في معنى ما زلت" (ابن فارس، 1979، صفحة 239). "وبرح الرجل يبرح براحا وبروحا: زال ورام من موضع، وما برح كذا أي مازال. ولا أبرح أفعل ذاك أي لا أزال أفعله" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 409). و"أبرح" مضارع برح بكسر الراء بمعنى زال يزول واستعير "لا أبرح" بمعنى لا أترك أو لا أكف عن السير حتى أبلغ مجمع البحرين، وهذا تأكيد لإصرار موسى -عليه السلام- وقوة عزمه على تحقيق مبتغاه وهو بلوغ مجمع البحرين وتحصيل العلم.

وقد زادت كلمة "حقبا" وما تحمله من دلالات تأكيداً على إصرار موسى -عليه السلام- قوة وعزماً على المضي زمناً غير معلوم القدر ولكنه معلوم الهدف. "ذلك أن الحقب اسم للزمان الطويل غير منحصر المقدار" (ابن عاشور، 1984، جزء 15، صفحة 364). وقد ذكر ابن عاشور في تفسيره تأكيداً آخر في نفس الآية حين قال: "وعطف "أمضي" على "أبلغ" ب "أو" فصار المعطوف إحدى غايتين للإقلاع عن السير، أي إما أن يبلغ المكان أو يمضي زمناً طويلاً. ولما كان موسى لا يخامره الشك في وجود مكان هو مجمع البحرين. وقد علم ذلك بوحى من الله تعالى تعين أن يكون المقصود بحرف التزديد تأكيد مضيه زمناً يتحقق فيه الوصول إلى مجمع البحرين" (ابن عاشور، 1984، صفحة 365). ومجمع البحرين "هو المكان الذي وعد فيه موسى -عليه السلام- بلقاء الخضر -عليه السلام- وهو ملتقى بحري فارس والروم (الرازي، 1420، صفحة 479).

وأما قوله "أبلغ" بدل "أصل" دليل على عزم سيدنا موسى -عليه السلام- الوصول إلى مجمع البحرين مهما كلفه ذلك من جهد ووقت، ألا ترى أن "بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وأبلغه هو إبلاغاً، وبلغه تبليغاً وصل إلى مراده" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 409). وبلغ الأمر وصل إلى غايته (الكفوي، 1420هـ، صفحة 70). وليس نهايته، وقد فرق أبو هلال العسكري بين آخر الشيء ونهايته، فقال: "أن آخر الشيء خلاف أوله، وقد انتهى الشيء إذا بلغ مبلغاً لا يزداد عليه وليس يقتضي نهاية (العسكري، 1414هـ، صفحة 293). فبلوغ مجمع البحرين لا يقتضي نهاية رحلته في طلب العلم بل إن بلوغه مجمع البحرين إنما هو البداية الحقيقية لتعلم المزيد مما لا يعلمه.

- "علمناه من لدنا علماً" وفيها دلالة تأكيد على أن علم الخضر -عليه السلام- علم لدني ووحى من الله. وما يؤكد قوله تعالى على لسان الخضر -عليه السلام-: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) الكهف 82.

-- "تعلمني مما علمت" وتحمل هذه العبارة دلالات تأكيد لقوة عزيمة موسى عليه السلام في تحصيل العلم والتعلم ممن فاقه علماً. وهذا ملمح بارز لتواضع سيدنا موسى وعدم اغتراره بكونه نبي الله تعالى وكليمه. فنراه يسعى سعي الجاد الملح في طلب العلم.

-- "إنك لن تستطيع معي صبراً" لقد تكررت هذه العبارة على لسان الخضر -عليه السلام- أكثر من مرة. وفي كل مرة توحى بدلالات من الخضر -عليه السلام- على عدم تحمل سيدنا موسى -عليه السلام- لما يشهده من أحداث ظاهرها منكر ولكن الحكمة فيها بالغة. فقد أكد الخضر -عليه السلام- قلة حيلة سيدنا موسى -عليه السلام- وعدم استطاعته الصبر على ما سيعايشه من أحداث بأكثر من مؤكد، وكأنه

بذلك كله يريد التأكيد على خطورة ما سيقوم به فقد "أكد جملة (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) الكهف 72. بحرف "إن" و "لن" تحقيقاً لمضمونهما من توقع ضيق ذرع موسى عن قبول ما يبديه إليه. لأنه علم أنه ستصدر منه أفعال ظاهرها المنكر وباطنها المعروف. وهذا تحذير منه لموسى -عليه السلام- وتنبية على ما يستقبله منه حتى يقدم على متابعتها إن شاء على بصيرة وعلى غير اغترار. وليس المقصود منه الإخبار". (ابن عاشور، 1984، صفحة 371).

وأما كلمة "الصبر" فقد تكررت أكثر من مرة وبأكثر من صيغة. وجاء في لسان العرب لابن منظور: "صبر يصبر صبراً فهو صابر وصبير وصبور، والصبر حبس النفس عند الجزع (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 439). و"الصبر التجلد وحسن الاحتمال وعن المحبوب حبس النفس عنه وعلى المكروه احتماله دون جزع (أنيس، 1972، صفحة 464). وعرف أبو هلال العسكري الصبر بقوله: "صبر الرجل حبس نفسه عن إظهار الجزع والجزع إظهار ما يلحق المصاب من المضض والغم" (العسكري، 1414هـ، صفحة 201). وفرق بين الصبر والاحتمال، فقال: "أن الاحتمال للشيء يفيد كظم الغيظ فيه. والصبر عن الشيء يفيد حبس النفس عن فعله. وصبرت على خطوب الدهر أي حبست النفس عن الجزع عندها، ولا يستعمل الاحتمال في ذلك لأنك لا تغتاض منه" (العسكري، 1414هـ، صفحة 201). ولم يستطع سيدنا موسى -عليه السلام- الصبر على ما أحدثه الخضر -عليه السلام- لغرابة تلك الأفعال وخروجها عن العادة والمألوف، فكان في كل مرة مستفهماً عن سبب الإقدام على مثل تلك الأفعال.

-("قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) الكهف 69. "وفي قول موسى -عليه السلام- "ستجدني إن شاء الله صابراً" أبلغ في ثبوت الصبر من نحو قوله "سأصبر"، لأنه يدل على حصول صبر ظاهر لرفيقه ومتبعوه. ومتعلق الصبر هنا هو الصبر على ما من شأنه أن يثير الجزع أو الضجر من تعب المتابعة ومن مشاهدة ما لا يحتمله إدراكه ومن ترقب بيان الأسباب والعلل والمقاصد" (ابن عاشور، 1984، صفحة 373). فكان حرص سيدنا موسى -عليه السلام- على تعلم المزيد مما علمه سيدنا الخضر -عليه السلام- فأكد ذلك بالسين في قوله "ستجدني" وأكدته بقوة بمشيئة الله. رغبة منه في نيل علم لم يعلمه، فحاول أن يجاهد نفسه في تحمل ما يشهده مع الخضر -عليه السلام- من أحداث.

1-3- الإيحاءات اللغوية المجازية ودلالاتها:

إن العرب كثيرا ما تستعمل المجاز وتعدده من مفاخر كلامها. إنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانئت لغتهم على سائر اللغات" (ابن رشيق، د.ت، صفحة 267). أما الحقيقة فعرفها ابن جني بقوله: " ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة. (ابن جني، د.ت، صفحة 442).

يعد المجاز من فنون البلاغة العربية، وهو واحد من الأساليب الجمالية لما فيه من توسع للمعاني وتغيير في دلالات الكلمات والتراكيب. ويؤدي التوظيف المجازي للكلمات والصيغ اللغوية إلى الانتقال بدلالات الألفاظ والتراكيب عن معانيها الأولى إلى معان أخرى تحتاج إلى إعمال فكر وإعادة نظر حتى تتضح المعاني ويكشف الغموض وتتحدد الأهداف. والمتأمل للحوار الذي دار بين سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام- يدرك مواطن المجاز ويتبين له مقاصد ودلالات عدة، ومنها:

قوله: "أتبعك" جاء في مقاييس اللغة: "يقال تبعت فلانا إذا تلوته وأتبعته وأتبعته إذا لحقته" (ابن فارس، 1979، صفحة 362). "وتبع الشيء تبعاً وتباعاً في الأفعال، وتبعته الشيء تبعوا سرت في أثره. وأتبعه الشيء جعله له تابعا وأتبعه مر به فمضى معه" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 28).

والاتباع مجاز في المصاحبة، ذلك أن "صيغة أفعل كذا على كذا" من صيغ الالتزام والتعاقد، وكأن سيدنا موسى -عليه السلام- يود أن يجعل بينه وبين الخضر عقدا لا يخالفه أحدهما، فما على موسى -عليه السلام- إلا الاتباع وحسن المصاحبة والاقتراء. وما على الخضر -عليه السلام- إلا بحسن متابعة سيدنا موسى -عليه السلام- ويعلمه مما علمه الله تعالى.

- "تخط به خبرا": والإحاطة مجاز في التمكن تشبيها لقوة تمكن الاتصاف بتمكن الجسم المحيط بما أحاط به" (ابن عاشور، 1984، صفحة 373). وقد وردت الإحاطة في القرآن الكريم على أربعة أوجه، وهي: العلم، والجمع، والهلاك، والخسارة. والإحاطة بالشيء علما هو أن يعلم وجوده وحسنه وقدره، وكيفية، وغرضه المقصود به وبإيجاده" (الفيروز آبادي، 1996، صفحة 127). وقال الراغب: "تقال الإحاطة على وجهين: -أحدهما: في الأجسام، نحو أحطت بمكان كذا. والثاني في العلم، نحو: (وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) طلاق 12، و(إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) آل عمران 120. والإحاطة بالشيء علما هي أن تعلم وجوده، وجنسه، وقدره، وكيفية، وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون به ومنه. وذلك ليس إلا لله تعالى. وقال صاحب موسى -عليه السلام- (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) تنبيهها على أن الصبر التام إنما يقع بعد إحاطة العلم بالشيء. وذلك صعب إلا بفيض إلهي (الأصفهاني، 1412هـ، صفحة 266). وحاطه يحوطه حوطا وحيطه وحياطه حفظه وتعهدده. وحاطه يحوطه حوطا إذا

حفظه وصانه وذب عنه " (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 279). و" كل من بلغ أقصى شيء وأقصى علمه فقد أحاط به. وكل من أحرز شيئاً كله وبلغ علمه أقصاه فقد أحاط به (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 280) ففي قول الخضر -عليه السلام- دليل تمكنه من علم علمه الله إياه.

- "ترهقني من أمري عسراً" لم يطق موسى صبرا على فعل الخضر -عليهما السلام- فاعتذر بالنسيان، حين قال: (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) و" النهي هنا مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذه (ابن عاشور، 1984، صفحة 376).. والارهاق هنا مجاز في المعاملة بالشدّة، والعسر: الشدة وضد اليسر. والمراد هنا عسر المعاملة أي عدم التسامح معه فيما فعله فهو يسأله الإغفاء والصفح". و"رهقه الأمر غشيه بقهر (الأصفهاني، 1412هـ، صفحة 367) و" رهقه الأمر غشيه (ابن فارس، 1979، صفحة 451). وجاء في الكليات: "ولا ترهقني من أمري عسراً، أي لا تغشني عسيراً من أمري بالمضايقة والمؤاخذه." (الكفوي، 1420هـ، صفحة 977). فما كان من موسى -عليه السلام- إلا أن يلتبس من الخضر -عليه السلام- عذراً لما بدر منه بشأن الاستعجال بالاستفهام عن علة ما قام به. وكيف يصبر ولم يحط علماً بأمور ظواهرها منكراً وبواطنها مجهولة.

- (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ) " وقد تضمن قوله " يريد أن ينقض " مجازاً. ومعنى يريد أن ينقض أشرف على الانقضاض أي السقوط، وذلك بأن مال، فعبر عن إشرافه على الانقضاض بإرادة الانقضاض. والإرادة: "طلب النفس حصول الشيء وميل القلب إليه وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "النون والقاف الضاد أصل صحيح يدل على نكث شيء" (ابن فارس، 1979، صفحة 471). ويقال أراد الجدار أن ينقض تهيأ للسقوط (أنيس، 1972، صفحة 381). وانقض الجدار انقضاضاً وأنقاض انقياضاً إذا تصدع من غير أن يسقط" (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 220). "وانقض إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعّل مطاوع قضضته" (الرازي، 1420، صفحة 488) "ويقال: انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت، ومجازه أن ينقلع من أصله ويتصدع" (بن المثنى، د.ت، صفحة 411) و"الإرادة قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل وجعل اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا. (الأصفهاني، 1412هـ، صفحة 371). فكان الجدار صار ذا إرادة حقيقية شأن الإنسان، ويريد الانقضاض والسقوط فكانت هذه العبارة أقوى في الدلالة من أي عبارة حقيقية أخرى. فحملت عبارة "يريد أن ينقض" دلالات توحى بسرعة سقوط الجدار مما يستدعي العجلة في إقامته دون النظر في مرؤة أهل تلك القرية التي رفض جميع أهلها الإحسان والإكرام لسيدنا موسى والخضر -عليهما السلام-.

1-4 الإحياءات الدلالية للتكرار:

إن للتكرار إمكانات دلالية إيحائية جمة يكشفها السياق الذي تتكرر في الألفاظ، فيساهم في ربط الأفكار، والجمل، والعبارات، فهو ملمح من ملامح الاتساق والانسجام في أي خطاب لغوي. وهو وسيلة للبيان والكشف عن المعاني. قال الجاحظ: "البيان هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كأننا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل. لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع. (الجاحظ، 2008، صفحة 90). وذكر ابن الأثير قيمة التكرار في القرآن الكريم حين قال: "...ولا يوجد في القرآن الكريم مكرر لا فائدة في تكراره، فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر، فأمعن نظرك فيه فانظر إلى سوابقه ولواحقه لتكتشف لك الفائدة منه." (ابن الأثير، د.ت، صفحة 149).

وذكر ابن سنان الخفاجي تلكم العلاقة التي تجمع بين التكرار والفصاحة، فقال: "وهذا الذي أنكرناه من تكرار الألفاظ فن قد أولع به الشعراء والكتاب من أهل زماننا هذا. حتى لا يكاد الواحد منهم يغفل عن كلمة واحدة فلا يعيدها في نظمه أو نثره ومتى اعتبرت كلامهم وجدته على هذه الصفة وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة ويغض من طلاوتها أظهر من التكرار عمن يؤثر تجنبه وصيانة نسجه عنه إذ كان لا يحتاج إلى كبير تأمل ولا دقيق نظر (الخفاجي، 1982، صفحة 106).

وعرف الزركشي التكرار بقوله: "إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد به" (الزركشي، 1957، صفحة 9) وعرفه ابن الأثير: "أما التكرير فإنه دلالة اللفظ على المعنى مردداً، وهو ينقسم قسمين: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ، فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع فإن المعنى مردد واللفظ واحد. وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ، فكقولك: أطعني ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية (ابن الأثير، د.ت، صفحة 146).

ويقول الزركشي: "وقد غلط من أنكر كونه - التكرار - من أساليب الفصاحة ظناً أنه لا فائدة له وليس كذلك بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلق بعبءه ببعض. وذلك أن عادة العرب في خطاباتهما إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيداً له. وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء" (الزركشي، 1957، صفحة 9). والحق الذي

لا مرأ فيه أن التكرار في القرآن إنما كان لمعان جزلة، ومقاصد سنية، واشتمل على أسرار ورموز من أحاط بها، فقد أوتي من البلاغة مفاتيح الكنوز (شيخون، د.ت، صفحة 49). وللتكرار في القرآن الكريم حكم ومقاصد يكشفها سياق الآيات وتفسير غريبها وتأويل متشابهها. ومن الكلمات التي تكررت أكثر من مرة: (تسألني، سألتك)، (أردت، أردنا، أراد)، (نسيا، نسيت، أنسانيه، نسيت)، (علمناه، علما، تعلمني، فانطلقا، فانطلقا)، (السفينة، السفينة، سفينة)، (ترهقني، يرهقهما)، (تأويل، تأويل)، (علمت).

وأما في تكرار "أردت، أردنا، أراد" فقد تكرر الفعل أراد وتغير الفاعل، من متكلم مفرد "أردت" إلى متكلم جماعة "أردنا"، ومفرد غائب "أراد". وفصل الرازي القول في هذا، فقال: "لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة نفسه-الخضر- فقال: "أردت أن أعيبها"، ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية، ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله تعالى. لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله" (الرازي، 1420، 493).

أما الزركشي فقد فسر تغير ضمير الفعل أراد، فقال: "تأمل جواب الخضر -عليه السلام- عما فعله حيث قال في إعاية السفينة "فأردت"، وقال في الغلام "فأردنا"، وفي إقامة الجدار "أراد ربك". لما أراد ذكر العيب للسفينة نسبته لنفسه أدبا مع الربوبية، فقال أردت. ولما كان قتل الغلام مشترك الحكم بين المحمود والمذموم استتبع نفسه مع الحق، فقال في الإخبار بنون الاستتباع ليكون المحمود من الفعل وهو راحة أبويه المؤمنين من كفره عائداً على الحق سبحانه. والمذموم ظاهراً وهو قتل الغلام بغير حق عائداً عليه. وفي إقامة الجدار كان خيراً محضاً فنسبه للحق، فقال "أراد ربك" ثم بين أن الجميع من حيث العلم التوحيدي من الحق بقوله: "وما فعلته عن أمري" (الزركشي، 1957، صفحة 60). فتغير الضمير العائد للفعل أراد دلالات تراوحت بين الدلالة على الخضر -عليه السلام- والمولى عز وجل. وفي كل حكمة يعلمها إلا الله تعالى.

"أهلها، أهل، أهلها":

إن في قوله تعالى: (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا) الكهف 77. أظهر لفظ "أهلها" دون الإتيان بالضمير، دلالات توحى بزيادة التصريح "تشجيعاً في لؤمهم إذ أبوا أن يضيفوهما وذلك لوم موسى الخضر -عليهما السلام- على أن لم يأخذ أجر إقامة الحائط على صاحبه من أهل القرية على أنه أراد مقابلة حرمانهم لحق الضيافة بحرمانهم من إقامة الجدار في قريتهم (ابن عاشور،

1414هـ، صفحة 8)، فتكررت لفظة "أهلها" تأكيداً للؤم وفظاعة فعل أهل القرية إذ لم يكن منهم إكرام لمن حل بأرضهم. وهذا أقوى دليل على قلة المروءة والشهامة عند أهل تلك القرية، إذ لم يضيفوا غرباء عن القرية وقد استطعموهم. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الدناءة والشح وانعدام مكارم الأخلاق عند جميع أهل تلك القرية. ولم يستثن أي واحد منهم فكلهم سواء.

الخاتمة:

- تضمنت قصة موسى والخضر عليهما السلام رسائل عرفانية ذات حمولات دلالية تجاوزت المعاني السطحية المباشرة إلى معانٍ أعمق، وإيحاءات دلالية جلية تكشف الكثير من الحجب عن طبيعة العلاقات وبنائها بناء سليماً، كعلاقة المتعلم طالب العلم ومعلمه.

- إن لغة الحوار الذي جمع بين سيدنا موسى والخضر - عليهما السلام - لغة معيارية تحمل الكثير من الإيحاءات الدلالية وتكشف عن مزيد من الدقة في انتقاء ألفاظها، وإحكام سبكها، وجودة معانيها.

- إن ما تحمله كل من اللفظتين "الإمر" و "النكر" من دلالات إيحائية تكشف دقة انتقاء الألفاظ وجودة معانيها، فحين لم يحدث خرق السفينة غرقاً كان "إمراً". وأما حين وقع قتل النفس قطعاً كان ذلك "نكراً" والنكر أفظع وأشد من الإمر.

- وردت كلمة "تستطيع" بصيغ مختلفة استطاعت أن تعبر عن نفسية سيدنا موسى -عليه السلام- وقلة حيلته أمام ما يقع معه من أحداث.

- تعددت صور التوكيد في خطاب سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام- وتنوعت وكانت في معظمها تحمل دلالات تؤكد إصرار سيدنا موسى -عليه السلام- وقوة إرادته. فبلوغه مجمع البحرين وأخذ العلم هدف يسعى جاهداً لتحقيقه، مهما كلفه ذلك من عناء ومشقة ووقت.

- لقد جاء تكرار كلمة "الصبر" بصيغ مختلفة حاملاً دلالات الحرص الشديد على التعلم والاستزادة رغم الصعوبات والمشاق التي صاحبت رحلة البحث عن الحقيقة.

- ساهم التوظيف المجازي في خطاب سيدنا موسى والخضر -عليهما السلام- في التعبير عن دلالات ومقاصد كثيرة اختزلت الكثير من الألفاظ وجعلت المعاني أكثر دقة وبلاغة. فالتوظيف المجازي في عبارة "لا ترهقني من أمري عسراً" دلالات توحى باعتذار سيدنا موسى -عليه السلام- بشأن استعجاله الخضر -عليه السلام- بالسؤال. بعد أن سبق ووعده بالصبر.

- إن تكرار كلمة "أهلها" حمل الكثير من الدلالات التي توحى بزيادة التصريح بشناعة ولؤم أهل القرية. وانعدام الأخلاق عندهم جميعاً دونما استثناء.

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص.
- أبو البقاء الحنفي الكفوي. (1420هـ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- أبو عبد الله الزركشي. (1957). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة.
- أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي. (1420هـ). مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى. (د.ت). مجاز القرآن، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. (2008). البيان والتبيين. بيروت: المكتبة العصرية.
- أبو الفتح عثمان بن جني. (د.ت). الخصائص، مصر: المكتبة العلمية.
- أبو القاسم الحسين الراغب الأصفهاني. (1412هـ). المفردات في غريب القرآن. دمشق: دار القلم، الدار الشامية.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. (1998). أساس البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي. (1982). سر الفصاحة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو هلال العسكري. (1412هـ). الفروق اللغوية. مصر: مؤسسة النشر الإسلامي.
- إبراهيم أنيس وآخرون. (1972). المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدعوة.
- ابن رشيق القيرواني. (د.ت). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد عبد القادر وأحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أحمد بن فارس بن زكريا. (1979). مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر.
- ضياء الدين ابن الأثير (د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، مصر: دار النهضة.
- علي بن محمد بن علي الجرجاني. (2007). التعريفات، تحقيق نصر الدين التونسي. القاهرة: الدارسة.
- مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي. (1996). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

-
- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الافريقي.(1414هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور. (1984). التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية.
- محمود السيد شيخون. (د.ت). أسرار التكرار في لغة القرآن، القاهرة: دار الهداية.